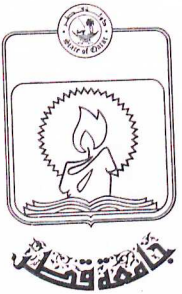

حَوْلِيَّة كلِيَّة الإنسَانِيَّات وَالعُلُوم الاجْتِمَاعِيَّة

العدد العشرون

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

« علاقات آل افراسياب السياسية والتجارية مع القوى الاوربية في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن السابع عشر »

د. طارق نافع الحمداني
قسم التاريخ - كلية التربية - جامعة بغداد

استطاعت أسرة آل افراسياب[1] التي قامت في البصرة في السنوات الأخيرة من القرن السادس عشر - بصورة شبه مستقلة عن الدولة العثمانية - أن تقيم لنفسها علاقات سياسية وتجارية مهمة مع القوى الاوربية المختلفة في الخليج العربي ، وقد كان لهذه العلاقات أثرها في اعطاء البصرة مكانة بارزة بالمقارنة بما كانت عليه في فترات سابقة ولاحقة بحكم هذه الأسرة .

ومن الجدير بالذكر أن آل افراسياب كانوا قد قضوا السنوات الأولى من حكمهم في إصلاح الأحوال السيئة التي نجمت عن استمرار الحكم العثماني في البصرة والخليج العربي في العقود الأخيرة من القرن السادس عشر ، وفي تثبيت دعائم سلطتهم في المنطقة . فمن المعروف أن الحكم العثماني في البصرة في نهاية القرن السادس عشر قد شهد حالة كبيرة من الضعف بحيث أصبح الولاة العثمانيون هناك عاجزين عن السيطرة التامة على الاوضاع الداخلية والخارجية في البصرة ، وغير قادرين على درء الأخطار الخارجية التي تعرضت لها المدينة ، وكان حصيلة ذلك كله انحسار النفوذ العثماني عن المنطقة وقيام حكومة آل افراسياب في البصرة وامتداد سلطتها إلى الاحساء أحيانا[2] . وقد تطلب مجيء آل افراسياب إلى السلطة بعد حالة الانحلال التي كانت عليها البصرة زمن العثمانيين - ايجادهم الحلول المعقولة لعلاقاتهم مع العثمانيين والمشعشعين

والفرس والقوى الاوربية في الخليج من ناحية ، وتنشيطهم الاحوال الاقتصادية المتدهورة في البصرة من ناحية أخرى . وسنركز اهتمامنا على علاقاتهم السياسية والتجارية مع القوى الاوربية في الخليج ، وما اصاب تلك العلاقات من نشاط وتطور خلال الفترة موضوع البحث .

علاقات آل افراسياب السياسية مع القوى الاوربية :

١- العلاقات السياسية الافراسيابية - البرتغالية :

على النقيض من العلاقات العدائية ما بين العثمانيين والبرتغاليين في الخليج العربي[٣] في النصف الثاني من القرن السادس عشر ، فقد اتخذت العلاقات الافراسيابية - البرتغالية طابعا جديدا في النصف الأول من القرن السابع عشر . وقد كان لقيام أسرة آل افراسياب في البصرة وتعرض الوجود البرتغالي في الخليج العربي لنكسات عديدة أثر كبير في رسم تلك العلاقات .

فمع تمكن افرا سياب باشا ، مؤسس الأسرة الافراسيابية في البصرة ، من تصفية الكثير من مشكلاته مع القوى المجاورة ، كالمشعشعين والفرس ، إلا أنه كان لايزال معرضا ، حتى العقد الثالث من القرن السابع عشر وما بعده ، للخطر الفارسي . فباستيلاء الفرس على بغداد عام ١٦٢٣ ، أصبحت مكانة آل افراسياب حرجة للغاية ، وقد توقعوا هجوما فارسيا مباغتا على البصرة من وقت لآخر . وبناء على ذلك فقد شعر علي باشا افراسياب ، وريث افراسياب باشا في ولاية البصرة منذ عام ١٦٢٤ ، أنه من الضروري الآن تعزيز علاقاته مع البرتغاليين وذلك من أجل الحصول على مساعداتهم العسكرية تجاه أي هجوم فارسي على البصرة . وعلى ضوء هذه السياسة فقد جعل علي باشا الباب مفتوحا للنشاطات التجارية البرتغالية المتزايدة في البصرة[٤] ومن ناحية أخرى ، فقد حاول البرتغاليون بعد فقدانهم هرمز عام ١٦٢٢ ، الحصول على موطيء قدم لهم في البصرة ، وبطريقة سلمية ، ولهذا فقد استجابوا لطلبات علي باشا بالمساعدة ضد الفرس[٥] وهكذا عمل الطرفان الافرسيابي والبرتغالي على تطوير علاقاتهما الحسنة ، خدمة لمصالح كل منهما وأغراضه .

بدأت أولى الاتصالات البرتغالية مع البصرة عن طريق المبشرين الكاثوليك ، الذين وصلوا إلى المدينة بعد سقوط هرمز ، وطلبوا من علي باشا حق فتح كنيسة هناك[٦] . ويظهر أن علي باشا استجاب لطلباتهم . فقد أشارت تقارير شركة الهند الشرقية الإنكليزية في ٣٠ مايس (مارس) ١٦٢٤ إلى حصول البرتغاليين على اذن ببناء اديرة وقد وعدوا بمنح تسهيلات لبناء قلعة في البصرة[٧] وقد أكد سوسة Sousa[٨] هذا الأمر، وأضاف قائلا بان علي باشا « قد منح البرتغاليين الأفضلية على كل المسيحين الآخرين » .

وفي مقابل ذلك ، اعتمادا على ما ذكره ستيرنزكورد Streensgaard فقد طالبهم علي باشا بان يحاولوا الحصول على أذن نائب الملك البرتغالي في الهند بقيام السفن البرتغالية بزيارة البصرة[٩] كما أنه بعث ، في مطلع عام ١٦٢٤ ، رسالة إلى القائد البرتغالي ري فربيه Ruy freyre واصفا فيها قلقه من احتمالات الهجوم الفارسي على البصرة ، عن طريق شط العرب معربا عن رغبته في الحصول على مساعدة البرتغاليين البحرية . وقد طلب علي باشا بقاء ست سفن برتغالية هناك . وتعهد بدفع كافة مصروفاتها طالما بقيت في خدمته[١٠] . وقد استجاب ري فربيه دي اندريد لطلب علي باشا سريعا وذلك عن طريق ارساله أسطولا برتغاليا مؤلفا من خمس أو ست سفن شراعية بقيادة القائد دي سلفيرا Dom Doncalo de Silverya لمساعدته في الدفاع عن البصرة ضد الهجوم الفارسي[١١] . وقد وصل هذا الاسطول البصرة بالفعل في كانون الثاني (يناير) من عام ١٦٢٤ وشارك مع قوات علي باشا في حماية المدينة من الهجوم الفارسي الأول على البصرة[١٢] كما استعان علي باشا مرة أخرى بخمسة سفن برتغالية ، وذلك عندما كرر الفرس هجومهم الثاني على البصرة ، واستطاعت هذه القوة أن تساهم بفعالية في تخليص المدينة من الجيوش الفارسية القريبة منها - في ٢٣ مارس ١٦٢٥[١٣] .

وهكذا يظهر بوضوح مدى اعتماد آل افراسياب على مساعدات البرتغاليين العسكرية في مواجهة الهجمات الفارسية المتكررة على البصرة ، ولكن ذلك لم يكن دون مقابل فقد صعد البرتغاليون من نشاطاتهم التجارية والعسكرية في المدينة ،

بخاصة في السنوات الأولى التي اعقبت فقدانهم هرمز للفرس ، وتعرضهم لمقاومة عرب عمان على الجانب الغربي من الخليج .

وفي السنوات التالية قلل البرتغاليون من نشاطاتهم البحرية في البصرة . ففي نهاية عام ١٦٢٥ ، سحب البرتغاليون اسطولهم من البصرة ، ولم يبدوا أي نوع من أنواع المساعدة لعلي باشا افراسياب خلال الهجوم الفارسي الثالث ضد البصرة عام ١٦٢٨[١٤] . وقد حدثت هذه التغيرات السياسية من جانب البرتغاليين بعد انتظام العلاقات البرتغالية- الفارسية استنادا لاتفاقية عام ١٦٣٠ ، التي منحت البرتغاليين حق الاتجار مع الموانئ الفارسية ، إضافة إلى تسهيلات تجارية أخرى[١٥] .

ومن ناحية أخرى ، فقد حدثت تطورات سياسية مهمة أثرت على وضع البرتغاليين ووكالاتهم التجارية والتبشيرية في فارس والبصرة والخليج العربي(١٦) فمع أنهم ظلوا في البصرة حتى عام ١٦٤٠ على الأقل ، يشكلون القوة الاوربية ذات النفوذ السياسي في المنطقة ، إلا أن السنوات العشر التالية شهدت منافسة قوى عديدة لهم ، مثل الانكليز والهولنديين وعرب عمان ، وقد تمكنت هذه القوى من اقصاء النفوذ البرتغالي وازالته من الوجود[١٧] .

علاقات آل افراسياب السياسية مع الانكليز :

لم يكن لآل افراسياب علاقات سياسية مباشرة مع الانكليز إلا في عام ١٦٣٥ ، وان كان للآخرين علاقات مع البصرة تعود إلى فترة أسبق . ففي العقد الثالث من القرن السابع عشر تعاون موظفو شركة الهند الشرقية الانكليزية في بندر عباس (كمبرون) مع الفرس للضغط على حكومة البصرة وذلك لطرد البرتغاليين من مياهها ولكن آل افراسياب رفضوا ذلك لحاجتهم الماسة للمساعدات البرتغالية ، وازاء هذه الضغوط فقد اتصل علي باشا افراسياب حاكم المدينة في عام ١٦٢٧بالباب العالي ، طالبا مساعدته للتوسط بينه وبين السفير الانكليزي في اسطنبول ، الذي لم تكن تربطه واياهم اية علاقات دبلوماسية ، من اجل ابلاغ السفن الانكليزية الموجودة في الخليج العربي الكف عن أعمالها العدائية ضد البصرة وقد تكررت مثل تلك الأعمال

العدائية في عام ١٦٢٩ ، عندما تعرض التجار الذاهبون إلى سورات Surat إلى مضايقات وتحرشات من المقيمين الانكليز والهولنديين هناك . فاتصل علي باشا مرة أخرى بالباب العالي ، الذي اخبر بدوره السفير الانكليزي في اسطنبول بالامر . وقد اثمرت تلك الاتصالات عندما كتب السفير الانكليزي إلى رعاياه هناك طالبا منهم عدم تكرار مثل تلك الحوادث[١٩] .

وفي خلال السنوات السبع التالية لا نسمع شيئا عن أي نوع من أنواع الاتصالات الدبلوماسية ما بين آل افراسياب والانكليز ، وكانت أول خطوة في هذا الاتجاه هي ارسال شركة الهند الشرقية الإنكليزية بعض مستخدميها إلى علي باشا افراسياب عام ١٦٣٥ ، مع هدية ورسالة تتضمن تفصيلات عن العلاقة الحسنة بين انكلترا والدولة العثمانية[٢٠] ، وفي محاولة لاقناع حاكم البصرة بمنحها الامتيازات التجارية والتسهيلات ، وقد كانت تلك المحاولة البداية للعلاقات الدبلوماسية - التجارية المباشرة لشركة الهند الشرقية مع علي باشا ، وشهدت السنوات التالية محاولات مماثلة تهدف إلى التقرب من هؤلاء الحكام .

ففي عام ١٦٤٠ بعثت الشركة كلا من وليم ثورستون William Thurston وادوارد بيرس Edward Pearce إلى البصرة ، لمعرفة مدى إمكانية ممارسة نشاطها التجاري هناك . وقد استقبل هذا المبعوثان استقبالا حارا من قبل علي باشا ، الذي منحهما حق الاتجار في البصرة وأفضلية في دفع الرسوم الجمركية[٢١] . وقد بين كل من ثورستون وبيرس في تقرير لرئاسة الشركة بأنه إذا ما أريد الاحتفاظ بالتجارة مع البصرة فإنه من الضروري تأسيس وكالة دائمة Factory للشركة في ذلك الميناء ، الأمر الذي سيمنح الباشا ثقة أكبر في التجارة مع الإنكليز ، أكثر مما يتوقع من الرحلات الفردية والطارئة[٢٢] . ويبدو أن المسؤولين في الشركة قد اقتنعوا بتقرير مبعوثيهم فاوصوا بفتح أبواب تلك الوكالة بالفعل وبشكل مؤقت في عام ١٦٤٣ ، ولما كانت العوائد كافية ومشجعة فقد تقرر جعلها دائمة[٢٣] .

ومن الملاحظ أن وكلاء ومبعوثي شركة الهند الشرقية الإنكليزية قد اتصفوا

بالخبرة والمقدرة السياسية والتجارية ، إلى جانب معرفتهم بلغة أهل البلاد التي كانوا يقيمون فيها ، كروبرت كرانمر Robert Cranmer الذي كان عارفا باللغة العربية[٢٤] . يستدل على ذلك من توصيات كرانمر لزملائه في البصرة بان يكونوا حذرين في معاملتهم للباشا والناس هناك ، وأن يكونوا في منتهى اللطف والاحترام معهم[٢٥] .

وفي عام ١٦٤٥ ، خلال الازمة التي حدثت بين الهولنديين والفرس حول بعض الرسوم الجمركية المتنازع عليها ، قررت الشركة نقل وكالتها من بندر عباس إلى البصرة . وهنا اجرى كل من روبرت كرانمر وريفيت ويلان Revett Walwyn الاتصال بعلي باشا افراسياب من أجل الحصول على إذنه بممارسة التجارة هناك خصوصا وهما يعرفان أن المنافسة الهولندية كانت على أشدها في تلك السنة ، وهي تهدف إلى تجريد الشركة الإنكليزية من كل الارباح التي تنالها ، وأنها في طريقها إلى البصرة[٢٦] . وقد استقبل علي باشا هذين المبعوثين في ٢٩ ايلول (سبتمبر) عام ١٦٤٥ ، واظهر سروره واهتمامه لوصولهما[٢٧] . ويبدو أن هذا الوفد قد افلح في مهمته ذلك لأن علي باشا قد وافق على قيام وكلاء الشركة بدفع الرسوم الجمركية المتفق عليها سابقا مع انكلترا . وهي بمقدار ٣٪[٢٨] . يضاف إلى ذلك ، فقد حصل الوفد على رسائل من علي باشا ، إلى رئيس شركة الهند الشرقية في سورات حول طبيعة العلاقات بين الشركة وحكومة البصرة . كما أرسل علي باشا أيضاً حصانا عربيا هدية إلى رئيس الشركة ، مع قائمة تتضمن تفصيلات عن البضائع والسلع التي يحتاجها[٢٩] . وهذا دليل عن علاقة الباشا الحسنة مع مسؤولي الشركة ومستخدميها في ذلك الوقت .

إلا أن العلاقات بين الشركة وحكومة البصرة أصابها الركود خلال السنوات الخمس التالية على ما يبدو ، ذلك لأننا لم نعد نسمع عن تردد الوفود إلى بلاط علي باشا بالصورة التي لاحظناها ، باستثناء مرة واحدة حين سلم أحد مبعوثي الشركة في ٢١ آب (أغسطس) ١٦٤٦ رسائل من رئيس الشركة إلى علي باشا وابنه حسين باشا افراسياب ومحمود أغا ، مسؤول الميناء في البصرة[٣٠] . ولعل مرد هذا الركود في العلاقات بين الشركة وحكومة البصرة ، إنما يرجع إلى المنافسة الهولندية الحادة للنشاطات الإنكليزية ، واقتصار الآخرين على الرابطة التجارية مع البصرة فقط .

علاقات آل افراسياب التجارية مع القوى الاوربية

١- العلاقات التجارية الافراسيابية - البرتغالية .

شهدت البصرة في القرن السابع عشر علاقات تجارية واسعة مع القوى الاوربية في الخليج العربي تختلف تماما عما كانت عليه الحال في القرن السادس عشر . فبينما لا توجد تغييرات مهمة في العلاقات التجارية بين السلطات العثمانية في البصرة وبين البرتغاليين في هرمز خلال القرن السادس عشر ، فقد حدثت مثل هذه التغييرات بين آل افراسياب وبين البرتغاليين في النصف الأول من القرن السابع عشر ، بخاصة بعد سقوط هرمز عام ١٦٢٢ . فبعد سقوط هذه المدينة ، التي كانت معقلهم الرئيسي في الخليج العربي لأكثر من مائة سنة توجهت أنظار البرتغاليين إلى مدينة البصرة لجعلها قاعدتهم الجديدة في التجارة ، وقد أصبحت البصرة مع مسقط ، سوقهم المهم حتى سنة ١٦٤٠ على الأقل ، عندما دخلوا في منافسة حادة مع التجارة الإنكليزية هناك[٣١] .

إذن في السنوات التالية لسقوط هرمز نشطت العلاقات التجارية البرتغالية مع البصرة ، وذلك بسبب تشجيع آل افراسياب السفن البرتغالية لزيارة البصرة وتوفيرهم الأمن والحماية لها[٣٢] . وكان بداية ذلك أن وصلت ميناء البصرة في آب (أغسطس) عام ١٦٢٣ تسع سفن برتغالية ، وهو على حد قول ستيزنزكورد Streensgaard شيء لم يسبق له مثيل من قبل ، وقد سر الباشا الجديد (علي باشا) بهذه المناسبة ، واقبر وصولها تقديرا له ، كما وصلت الكثير من البضائع التجارية هناك[٣٣] ، ولمواصلة هذه السياسة فقد استمر البرتغاليون في ارسال سفنهم إلى البصرة باعداد كبيرة . ففي آب عام ١٦٣٠ ، وصل أسطول برتغالي ضخم إلى المدينة ، وكان يتألف من خمسة وعشرين سفينة[٣٤] ، وقد أدى ذلك إلى انتعاش الحالة التجارية في البصرة من ناحية، وتعويض البرتغاليين عن مركزهم التجاري الرئيسي المفقود في هرمز من ناحية أخرى.

وعلى أية حال . فقد شهدت العشرون سنة اللاحقة اضمحلال النفوذ البرتغالي التجاري والسياسي في البصرة والخليج العربي ، وذلك بسبب دخول قوى أوربية جديدة

أخرى إلى المنطقة . فالحكومة البرتغالية التي تشكلت عام ١٦٤٠ واعلنت نفسها حكومة مستقلة ذات سيادة في أوربا ، رغم أنها استعادت مكانة البرتغال التجارية في الشرق لفترة قصيرة ، إلا أنها من الناحية الأخرى لم تكن قادرة على الوقوف في وجه النشاطات التجارية للشركات الإنكليزية والهولندية هناك[٣٥] ، مما اضطرها للدخول في حرب معها ، كالحرب البرتغالية - الهولندية في عام ١٦٤٣ ، وكانت منطقة المحيط الهندي والخليج العربي ميدانا لها[٣٦] . وقد أدت هذه الحالة إلى ضعف التجارة البرتغالية في البصرة بصورة سريعة ، بحيث أن الرحالة الفرنسي تافرينيه الذي زار البصرة في عام ١٦٥٢ ، أشار إلى علاقات الانكليز والهولنديين والهنود التجارية مع المدينة ، ولكنه لم يشر إلى أي علاقات تجارية للبرتغاليين مع البصرة[٣٧] ، مما يدلل على انحسار نشاطهم التجاري هناك .

٢- آل افراسياب والعلاقات التجارية الإنكليزية مع البصرة :

كان لتأسيس شركة الهند الشرقية الإنكليزية في مطلع القرن السابع عشر ، ووصول قوى أوربية أخرى إلى الشرق ، أثر كبير في تعرض احتكار البرتغاليين للتجارة إلى خطر جدي من قبلهم . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا تمكنت القوى الجديدة من السيطرة على القسم الأكبر من تجارة المحيط الهندي ، الخليج العربي والبصرة .

وفي خلال العقد الثالث من القرن السابع عشر ، وبينما منحت الامتيازات التجارية للبرتغاليين في البصرة ، حصل الانكليز من ناحية أخرى على مركز تجاري في بندر عباس (كمبرون) وبنوا القوة الإنكليزية ونشاطاتها التجارية في الخليج العربي ، فقد بدأت بمنافسة البرتغاليين في البصرة ، وذلك استنادا إلى ما ذكرناه من شكاوي علي باشا المرسلة إلى العثمانيين ضد الإنكليز ، واستنادا إلى ما قدمه من شكاوي مماثلة إلى المقيم الإنكليزي في سورات عام ١٦٢٧ و ١٦٢٩[٣٨] . وفي أثناء هذه الفترة لعبت شركة الهند الشرقية الإنكليزية دورا واضحا في تجارة النقل البحرية بين الهند وفارس ، حتى البصرة ، وعندما علمت الشركة بان تجارا من الفرس والارمن يحققون أرباحا طائلة من جراء اشتغالهم بهذه التجارة ، ارتأت أن تبدأ اتصالها مع

البصرة[٣٩] .

لكن علاقات شركة الهند الشرقية المباشرة مع البصرة لم تتم إلا في عام ١٦٣٥ عندما بعثت الشركة بعض موظفيها إلى علي باشا افراسياب على أمل إقامة تجارة منظمة مع تلك المدينة . وقد كانت تلك الزيارة ذات أهمية خاصة في قيام التجارية الإنكليزية هناك ، وذلك لأنها المرة الأولى التي تقوم فيها السفن الإنكليزية بعملية استثمار صغيرة في البصرة[٤٠] . ورغم أن الشركة لم تستطع تحقيق ارباح مغرية بسبب المنافسة البرتغالية التي اغرقت سوق البصرة بالسلع الشرقية بواسطة أسطولهم التجاري في مسقط وذلك قبل وصول السفن الإنكليزية إليها ، إلا أن الشركة أصرت على الاستمرار في التجارة مع البصرة ، وبعثت الأوامر إلى فروعها في أحمد اباد وكامبي Cambay في الثالث من شباط (فبراير) ١٦٣٦ . تشجعهم فيها على توظيف أموالهم في البصرة[٤١] إذ أصبح الآن واضحا لدى الشركة كما يقول بالمر Palmer[٤٢] أن ميناء البصرة من الممكن أن يصبح ، من بعض النواحي ، بديلا لموانئ السند ، وربما لبندر عباس أو اصفهان في أوقات الأزمات والاضطرابات . وبعد هذا التاريخ تدفق سيل السلع الشرقية على البصرة من مختلف الهيئات الإدارية ، ومن بينها شركة الهند الشرقية التي بدأت تحقق أرباحا عالية في عام ١٦٤٠ بسبب توافد التجار على هذه المدينة من حلب ومن أماكن أخرى[٤٣] .

وقد تعززت مواقع شركة الهند الشرقية ونشاطاتها التجارية في البصرة على أثر زيادة وليم ثورستون واد ورد بيرس إلى البصرة عام ١٦٤٠ ، واتصالهما بعلي باشا افراسياب حاكم المدينة ، تمهيدا لانشاء وكالة هناك[٤٤] إلا أن من سوء حظ الشركة أن الحمولة التي وافق الباشا على بيعها في البصرة . قد اصابها الكساد ، بسبب وصول السفن البرتغالية التي ملأت سوق المدينة بالبضائع ، وعلى الاخص الاقمشة والفلفل والهيل ، الأمر الذي اعاق وكيلي الشركة ثورستون وبيرس من بيع شحنتهما هناك ، ولم يتجاوز مقدار مبيعاتهما أكثر من ٣٠.٠٠٠ روبية[٤٥] .

ومهما يكن من أمر ، فإن الصلات التجارية للشركة مع البصرة قد تأثرت في

السنوات العشر التالية بظروف مختلفة أهمها طبيعة الصلات التي أقامتها الشركة مع حكام البصرة ، وطبيعة المنافسة التي أظهرها الهولنديون في المجال التجاري .

فمن الناحية الأولى ، فقد كانت الشركة حذرة للغاية في علاقتها مع علي باشا ، حاكم البصرة ، وذلك قبل الاذن لها ببناء وكالة دائمة في البصرة عام ١٦٤٣ ، يستفاد من ذلك من تقارير وكلاء الشركة التي تردد أن علي باشا رغم منحه قطعة أرض لبناء الوكالة ، إلا أن الشركة يجب ألا تشرع في البناء وإنما يستحسن استئجار بناية هناك خوفا من أن يطالب الباشا بملكيته لها[٤٦] . إن هذا التردد الذي أظهره وكلاء الشركة يعود لاندلاع الحرب بين علي باشا وولاة بغداد عام ١٦٤١ من ناحية[٤٧] ولأن مبيعات الشركة في البصرة في ذلك العام لم تكن مشجعة للغاية ، وقد بلغت ٢٠ر٠٠٠ ريال من مجموع قيمة السلع التي مقدارها ٨٠ر٠٠٠ ريال فقط[٤٨] .

على أن وجهة نظر الشركة وصلتها مع البصرة قد تغيرت في السنوات التالية فقبل كل شيء ، أمرت الشركة وكلاءها بالابقاء على استثماراتهم في البصرة[٤٩] . وبعدها جاءت الخطوة المهمة للشركة وهي فتح وكالة دائمة لها في البصرة عام ١٦٤٣ ، حيث أصبح بمقدورها توثيق صلاتها مع حكام البصرة[٥٠] ، وتسهيل مهمة المراسلات والاتصالات التجارية بين لندن ومقر الشركة في سوارت[٥١] .

ومن الناحية الأخرى ، فقد أصبحت البصرة المركز الرئيسي للشركة ، وذلك بعد نقل وكالتها من بندر عباس (كمبرون) إلى البصرة عام ١٦٤٥ ، وحتى ذلك العام كان التجار الإنكليز في البصرة بعيدين عن أية منافسة تجارية من قبل الهولنديين ، لكن تلك المنافسة اتخذت شكلا مفاجئا وحادا ، وأدت في خلال عام أو اثنين إلى تجريد الإنكليز من كل ربح كانوا ينالونه[٥٢] .

٣- آل افراسياب والعلاقات التجارية الهولندية مع البصرة :

يرجع وصول الهولنديين ونشاطاتهم التجارية مع البصرة إلى بداية اربعينيات القرن السابع عشر عندما بدأت سفن شركة الهند الشرقية الهولندية تصل إلى البصرة لغرض التجارة ، مما أدى إلى كساد تجارة الإنكليز في هذا الميناء[٥٣] أن استخدام الهولنديين

مختلف الوسائل والأساليب المعروفة في المنافسة التجارية ، ومنها اغراق السوق بالبضائع والبيع باسعار منخفضة لاجل القضاء على منافسة الجهات الأخرى ، واتباع هذه السياسة في منافسة التجارة الإنكليزية كان العامل الرئيسي لاضمحلال التجارة الإنكليزية في البصرة بعض الوقت . ففي خلال عامي ١٦٤٧ ، ١٦٤٨ ظلت الأعمال التجارية الإنكليزية لا تحقق أرباحا بسبب المنافسة الحادة من جانب الهولنديين ، وهذا ما نلمسه في تقارير وكلاء شركة الهند الشرقية في البصرة عن كساد فعالياتهم التجارية هناك[٥٤] .

وعلى هذا الأساس تقرر ارسال سفينة إلى البصرة لجلب موظفي وممتلكات الشركة في عام ١٦٤٨[٥٥] . كما اصدرت رئاسة الشركة في لندن امرا في شباط عام ١٦٥٠ بغلق مراكز الشركة في سواكن ومخا والبصرة وعدم ارسال السفن إلى هذه المناطق إلا عندما تكون التجارة رابحة فيها[٥٦] . وبعدها وسع الهولنديون احتكارهم ورقعة حربهم التجارية مع الإنكليز بحيث أن رئاسة الشركة في لندن قد ابلغت مبعوثيها في الشرق في السابع والعشرين من ايلول (سبتمبر) عام ١٦٥٢ ، أن شقة الخلاف بين الإنكليز والهولنديين تزداد يوما بعد يوم ، ولا أمل في وضع حد لها[٥٧] . وأدت هذه الخطوة إلى تدمير مؤقت لنشاطات الوكالة التجارية الإنكليزية وسمعتها في تلك المنطقة .

وهكذا نلاحظ من هذا الاستعراض التاريخي كيف استطاع آل افراسياب إقامة علاقات سياسية وتجارية واسعة مع القوى والشركات الأوربية المختلفة في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن السابع عشر ، كما استطاعوا عن طريقها ضمان وجودهم السياسي إلى حد ما ضد التهديدات الفارسية على حدودهم الشرقية من جهة، وتعزيز اقتصاديات حكومة البصرة عن طريق زيادة النشاطات التجارية في المدينة من جهة أخرى . ولكن هذه القوى والشركات قد عملت في الوقت نفسه على تثبيت وجودها التجاري والسياسي في البصرة ، لأنها فضلت التعامل ، على ما يبدو مع الأسر المحلية في المنطقة ، ومن بينها آل افراسياب للحصول على امتيازات منها بدل التوجه إلى الدولة العثمانية لنيل ذلك[٥٨] .

الهوامش

١- أسرة آل افراسياب من الأسرة المحلية التي حكمت في البصرة ما بين ١٥٩٦ إلى ١٦٦٨ ومع أن مؤسس هذه الأسرة افراسياب باشا ينتمي إلى أصل سلجوقي - تركي ، إلا أن أمه كانت عربية من أهل الدين في البصرة ، وهذا ما جعله يمارس سياسة عربية في علاقاته الخارجية مع الدول الأخرى ، ولقي على أساسها التأييد والمساندة من أهل البصرة . انظر عبد علي بن ناصر الحويزي ، السيرة المرضية في شرح الفرضية ، نشرت بعنوان « تاريخ الإمارة الافراسيابية » ، تحقيق محمد الخال (بغداد ، ١٩٦١) ، ص ٣ ، فتح الله الكعبي ، زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر (بغداد ، ١٩٢٤) ، ص ١٧ ، رحلة فنشنشو إلى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمها عن الايطالية الاب د . بطرس حداد المورد ، المجلد الخامس ، العدد الثالث (بغداد ، ١٩٧٦) ، ص ٨٤ .

٢- انظر ذلك في اطروحة الدكتوراه للمؤلف الموسومة :
T.N.Hamid, The Political, Administrative and Economic history of Basra Province 1534-1638, unpublished Ph.D thesis (Manchester, 1980), p.58.

٣- للاستزادة عن هذا الموضوع انظر صالح اوزيران ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١ ، ترجمة د . عبد الجبار ناجي (بغداد ، ١٩٧٩) ص ص ٥٨-٩ .

4 - Achrouicle of the carmelities in Persia and the Papal mission of the XV IIth and XVIIIth centuries (London, 1939) vol. 1,p.274.

5 - A.H.De Groot, The Ottoman Empire and the Dutch Republic 1610-1630 (Leiden,1978), P.335, n.195.

6 - M.de Fariay Sousa The Portuguesc Asia (trans.) into English by capt. T. Stevens (London, 1695), Vol.111,p.325.

7 - William Foster, The English Factories in Indaia, 1624-29 (Oxford, 1910). P.22, W.N.Sainsbury, Calender of state papers, colonial Series, East India and Japan, 1622- 24, Vol. V (London, 1878), p.278.
ومما تجدر الإشارة إليه أن ديلا فال الذي وصل البصرة في عام ١٦٢٥ وجد الدير الكرملي الجديد وقد اكتمل لتوهه ، وقد حضر حفلة افتتاحه والاحتفالات الأخرى

8 - Della Valle Travels into the East India and the Arabian desert (London, 1665), P.246. The Portugnesc Asia, Vol. 111, p.325.

9 - Niles Streensgard, Carracks, Caravans and Companiep

(Denemark,1973), p.354.

10 - Paul Craesbeeck, Commentavies of Ruy Freyre de Andrada, 1619-33, ed. C.R.Boxer, (London, 1930),
الذي أشار استنادا إلى تصريحات قائد الاسطول البرتغالي في البصرة دي سلفيرا بان علي باشا قد نفذ تعهداته بكل دقة والتزام فيما يتعلق بدفع المصروفات وبقاء الجنود هناك .

- Ibid, See also C.R.Boxer, Chapter in Anglo-Portuguese relations in the Gulf, 1615-35, ed. G.Prestage (Watford, 1935), p.125.

11 - Crasebeeck, Commentaries, p.193.

12 - Ibid, Della Valle, Op. Cit., pp.249-50.

13 - Crasebeeck, Commentaries, P.205, Della Valle, Op. Cit., PA 245-5,252.

14 - Streeusgaard, Op. Cit., P.357.
للاستزادة عن هذا الموضوع انظر :

15 - Vol. 1,p.l313, Streeusgaard, Op. Cit., p.357.

16 - Achranicle of the carmelities in Persia, Vol. 1,p.358.

17 - Foster, The English Factories in India, 1646-50, July, 1650, p.311,
انظر أيضاً : د. عبد الامير محمد أمين : دور القبائل العربية في صد التوسع الاوربي في الخليج العربي ، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ (بغداد، ١٩٧٣) ص ٦٥٢ .

18 - LLen B. Hinds, Calender of state Papers, 1626-28 (London, 1914), jenice, Vol. XX,p.400.

19 - Sainsbury, Calender of State Papers, 1625-29, pp.661-2.

20 - Foster, The English Factories in India, 1634-36 (Oxford, 1911), p.185.

21 - Foster, The English Factories, 1637-41, p.246, See also G. Rawlinson, British begining in western India, 1579-1657, (Oxford, 1920), p. 109.

22 - John Bruco, Annals of the Itonorable East India Company 1600-1707 (West Germany, 1968) Vol. 1,p.377.

٢٣- ج.ج. لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي (قطر ، الدوحة ، بدون تاريخ) ج ٤ ، ص ١٧٦٧.

24 - Foster, The English Factories 1642-45, March 26, 164, p.168.

25 - Ibid, 1642-45, March 26, 1642, p.57, Idem, Sept. 1644, p.168.
26 - Foster, The English Factories in India, 1642 -45, July 31, 1645, pp.273-4.
27 - Ibid.
28 - The English Factories 1642-45, July 31, 1645, p.274.
29 - Ibid, 1642-45, Sept.22, 1645,p.284.
30 - The English Factories 1646-50, August 21, 1646,p.49.
31 - Insbury, Calender of State Papers, 1622-24, Vol.IV,p.287, See also F.S Danvers, The Portuguese in India (London, 1894), Vol. 1,p.532, Sir Arnold T. Wilson, The Gulf (London, 1959), p.67, D. Bathurst, The Ya'rubi dynasty in Oman, Unpublished Ph.D. Thiesis (Oxford, 1967), P.53.
32 - Chronicle of the carmelities in Persia, Vol. 1,p.274.
33 - Treensgaard, Op. Cit., P.354.
34 - Ibid, P, 358.
35 - Bruce, Op. Cit., Vol. 1, P.68.
36 - Achronicle of the Carmelities in Fersia, Vol. 1,p.358.
٣٧- جون باتيست تافرينيه ، العراق في القرن السابع عشر ، نقله إلى العربية وعلق حواشيه بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ، ١٩٤٤) ص ص ٩٧ - ٨ .
٣٨- انظر اعلاه في موضوع العلاقات السياسية الافراسيابية الإنكليزية .
39 - Foster, The English Factories 1630-33, P.125, See also Holden Furber, The Overland route to India in the 17th and 18th centuries, Journal of Indian History, Vol. XXIX, Pt. 11 (August, 1951), P.111.
40 - J.A.Saidanha, Selections from state Paprs, Bombay regarding the East India company's connection with the Gulf, With asummary of events, 1600-1800(Calcutta, 1908), P.XX,See also C.R Low, History of the Indian navy, 1613-1863 (London, 1877), Vol. 1,p.51.
41 - Poster, The English Factories, 1634-36, P.164, See also M.G. Milber, The East India Company and the British influence in the East (New York, 1945), pp.201-2.
42 - W.C.Palmer, The activities of the English cast India Company in Persia and the Gulf, 1616-57, unpublished

Ph.D thesis (London, 1932), P.398.

43- Foster, The English Factories 1637-41,Feb. 26, 1640, p.241.

٤٤- انظر اعلاه .

45- The English Factories. 1637-41, June 22, 1640, P.XXIV, PP.247-252.

لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ٤ ص ١٧٦٦ .

46- The English Factories, 1642-45, March, 1641, P.27, Idem, 1642-45, Sept. 26,1642, P.57,

47- The English Factories, 1642-45, Jan. 8, 1641, P.23.

48- Ibid, 1642-45m Narcg 15m 1641m O,27.

49- The English Factories 1642-45, Jan. 27,1642, p.5.

٥٠- للاستزادة عن اتصالات الشركة مع حكام البصرة ، انظر اعلاه .

51- The English Factories 1642-45, Jan. 27, 1644, p.143.

٥٢- لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج ١ ، ص ٧٨.

٥٣- المصدر نفسه ، ج ١ ص ٦٩ ، انظر ايضا : محمود علي الداود ، تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ - ١٧٦٠ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الثالث (كانون الثاني ، ١٩٦١) ص ٢٦٥.

٥٤- للتفاصيل انظر :

- خليل علي مراد ، تاريخ العراق الإداري والاقتصادي ١٦٣٨ - ١٧٥٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ص ٣٩٢ - ٣ .

- The English Factories, 1646-450, April 5,1648, P.206.

55- The English Factories, 1646-450, April 5, 1648, p.206.

56- E.B.Sainsbury, Acalender of the Court miuntes of the East India company 1650-54 (Oxford, 1913), p.24.

57- Ibid, P. 185.

٥٨- انظر حسين محمد القهواتي ، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني ٢٩٤١ - ١٠٤٨ / ١٥٣٤-١٦٣٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة (بغداد ، ١٩٧٥) ص ١١ .

مصادر البحث

أولاً : المصادر العربية :

- أمين ، د. عبد الامير محمد ، دور القبائل العربية في صد التوسع الاوربي في الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، المؤتمر الدولي للتاريخ (بغداد ، ١٩٧٣) .
- اوزبران ، صالح ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١ ، ترجمة الدكتور عبد الجبار ناجي (بغداد ، ١٩٧٩) .
- تافرنيه ، جون باتيست ، العراق في القرن السابع عشر ، نقله إلى العربية وعلق حواشيه بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ، ١٩٤٤) .
- الحويزي ، عبد علي بن ناصر ، السيرة العرضية في شرح الفرضية ، نشرت بعنوان تاريخ الإمارة الافراسيابية ، تحقيق محمد الخال (بغداد ، ١٩٦١) .
- الداود ، محمود علي ، تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ - ٧٦٠ ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد (١٩٦١) ص ص ٢٣٢ - ٢٥٥ .
- فنشنسو ، رحلة فنشنسو إلى العراق في القرن السابع عشر ، ترجمها عن الايطالية الأب الدكتور بطرس حداد ، المورد ، المجلد الخامس ، العدد الثالث (بغداد ١٩٧٦) ، ص ٧١ - ٨٩ .
- القهواتي ، حسين محمد ، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني (٩٤ - ١٠٤٨ ، ١٥٣٤ - ١٦٣٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة (بغداد ، ١٩٧٥) .
- الكعبي ، فتح الله ، زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر (بغداد ، ١٩٢٤) .
- لوريمر ، ج.ج ، دليل الخليج ، القسم التاريخي (قطر ، الدوحة ، بدون تاريخ) .
- مراد ، خليل علي ، تاريخ العراق الإداري والاقتصادي ١٦٣٨ - ٧٥٠ ، رسالة ماجستير غير منشورة (بغداد ، ١٩٧٥) .

ثانياً : المصادر الإنكليزية :

- Bathurst, The Ya'rubi dynasty in Oman, Unpublished Ph. D thesis (Oxford, 1967) .
- Boxer, C.R.,. Chapter in Anglo-Portuguese relations in the Gulf, 1615-35 (Watford, 1935) .
- Bruce, John Annals of the Honorable East India Company 1600-1707 (West German, 1968), 3 Vol 5 .
- Achrouicle of the Carmelities in Pevsta and the Papal Mission of the XV II th and XVIII th centuries, 2 Vol 5.
- Craes beeck, Paul, Commentaries of Ruy Freyre de Andrada 1619-33, ed . C.R. Boxer (London, 1930).
- Danvers, F.S., The Portugnesc in India, 2 Vol 5(London,

1894).
- Della Valle, Pietro, The Travels of ... into the East India and the Arabian desert (London, 1665) .
- Foster, illiam, The English Factories in India 13Vol 5 (Oxford, 1909).
- Furber, Holden, " The Overland route to India in the 17th and 18th centuries", Journal of Indian History, Vol. XXIX, Pt.11 (August, 1951) PP. 105-33.
- DDe Groot, A.H., The Ottoman Empire and the Dutch Republic 1610-1630 (London, 1978) .
- Hamid, Tarik Nafi, The Political, administrative, and Economic History of Basra Province 1534-1638, Unpublished Ph.D thesis (Manchester, 1980).
- Hinds, Alleu, B., Calender of state Papers, 1626-28 (London, 1914).
- Low, C.R., History of Indian Navy 1613-1863, 2Vol5, (London, 1877) .
- Milber, M.G., The East India company and the British influence in the East (Newyorls, 1945).
- Palmer,W.C., The activities of the English East India company in persia and the Gulf 1616-1657, Unpublished Ph.D thesis (London, 1932).
- Rawlinson, G., British beginning in Western India, 1579-1657 (Oxford, 1920).
- Sainsbury, E.B., Acalender of the court minutes of the test India company 1650-54 (Oxford, 1913).
- Sainsbury, W.N., Calender of stste Papers, Colonial Series, East Indian, China and Japan, 1622-24 (London, 1878).
- Sadanha, J.A., Selections from state papers, Bombay regarding the East India company's Connection with the Gulf, With as ummary of events, 1600-1800 (Calcutta, 1908).
- Sousa, M. de fariay, The Portugness Asia, (trans.) into English by Capt. T. Stevens (London, 1695) 3 V015.
- Streensgard, Niles, Carraoks, Caravans and companies (Denemark, 1973).
- Wilson, Sir Arnold, The Gulf (London, 1959) .